

زمن السراب للشاعر الكردي هندرين

الأربعاء 16 يوليو 2008 GMT 16:00:00

دلور ميقرى

ترجمة عن السويدي : دلور ميقرى

I

هناك، في جغرافية ذلك الحلم، كانت الحياة صورة من ظلّ الإله
من أساطير أمي، تعلمت أن الأرض مستوية على
قرني ثور. السماء، كانت بيت الله. الزمن، حيث
لا ثوان فيه ولا دقائق، خاط الأرض والسماء في
وحدة مطلق.

كنت، والحالة هكذا، على خشية من أن يأتي يوم
يثور فيه الثور أو يقع مريضاً، فنهوي بدورنا في
الفراغ وتلتهمنا اللانهاية. كان في وهمي أن الثور
من الجسام، حتى ليتعذر عليّ إبتعاب صورته.
خلال مرحلة مديدة، لم أع ذلك الثقل المرعب،
الصامت، المتحكم بالكون اللامرئي؛ بهذا الوجود
المتجسد في عيني، كصور.

مع مرور الزمن،

تصاعد أيضاً بحثي عن الأيام المنتظر.

غالباً ما كنت أسأل أمي: "في حالة ما إذا تداعت

السماء، كيف للثرر أن يخلص نفسه؟ وإذا ما

تهاوت الأرض، أيضاً، ماذا سيحصل لنا؟"

في كل مرة، غاضبة وساخطة، كانت أمي تقطع

للفور أسئلتني وتطلب مني الإستغفار من الله .
كنتُ معتاداً على المضيّ خارجاً، لأجل أن أسرح
بطرفي نحوَ الخلاء البعيد؛ أين الجبال الشاهقة .
ذلك الضباب، المجنح، كان يحلق عالياً باتجاه
السماء، وأسفل نحوَ الأرض؛ كأنما هو ملائكةُ
الجبال، المتتفسة ثمة على قممهم .
في تلك الليالي العتمة، العميقة الزرقة، إعتادت
الملائكة أن تأتي مع الريح، مرفرفة فوق المدين .
في السرير، إعتدتُ الهددة حتى النعاس، بفضل
قطرات المطر المتسربة عبرَ مزارب السطح: كنتُ
أتصور أنها رفيفُ الملائكة، وهي قادمة إلي .
هكذا عبرتُ الليالي مع الأحلام، ومع دغدغة تلك
الأحاسيس التي منحتني إياها الأساطير .

II

هنا، في مكان الزمن العاري، البلاطم، تبحرُ
الطفولة، كما هو حالُ نجم شمال كلاويز ؛
هذا المنعوتُ أيضاً بإسم " قافلة الموت " كاروان
كوج ؛ تبحرُ في ذاكرتي الرمادية، نحوَ الغربة
الشائخ . ذلك النجم المُشاعب، الذي أفاق خلفَ
الجبال، مُبللاً الصخورَ خلل الليل، ناشدَ القافلة
أن تترتا . النجمُ والقافلة، كانا من الضخامة في
افتناسيا، حدّ أن إدراكي لم يستوعبهما في مدا .
في هكذا سراب، مُتخّم بموجوداته، قضيتُ الأعوام
السبعة الأولى من عمري .

في ليالي الصيف، جميعاً، كنتُ معتاداً على التوجّه
خارجاً للتبول، قبلَ أن أخلدَ للنوم، قبلَ أن يُخمدَ بعينيّ
وميضُ النجوم؛ هذه التي دعوها أمّي ' مصابيح الله '

مع صوت بولي المتدفق ورائحة فم التربة، الجاف
كنتُ أشعر بأني قادرٌ على إرواء عطش الأرض .
وما فتأتُ أشعر بأنَّ الأرضَ كينونةً عطشى، وما
زالت تتصاعد روائحها وصوتها في أعماقي .
في ليالي العمر، تحوم ذكريات الطفولة مثل عمود
الريح في هارات الصيف، الحارّ . تنتقل من هنا
ترقص وتتمايل حافية عائدة من مسافات الغابات .
تتلقف الطفولة، في طريقها، سحابة كل الأفياء
المتناعسة وتوقظ الأرض من خدر العطش .
ثمة فوق السطح، تحدّثت أمي عن النجوم؛ كاروان
كوجا وهفتوانه الدب الأكبر والأصغر ، بحيث ني
توهمت رؤية عالم في السماء، مثل عالما، إلا أنه
أكثر فتد . في ليالٍ معيَّنة، حينما تتهاوى النجوم مثل
المطر، كنتُ أسبل جفنيّ خشية سقوطها في عيني .
أمي تؤكد، أنّ هذه النجوم تتهاوى علامة على موت
ولم . ودعتني أن ألزم الصمت وأكون يقظ .
" طريق التبان ، كان رحلة بلا زمن، أشارت
أمي إلي : " أنظر إلى كل ذلك التبن، المتناثر من
العربات السائرة " . بالنسبة لي، كان " طريق التبان "
جسراً بين سماوات العال . وتلك النجوم المعلقة هناك،
في الأسفل، إن هي إلا بشرٌ في سفر الطريق .
أحياناً، في ليالي الصيف، كان يحدث أنّ القمرَ وهوَ في
خسوفه، يتدحرجُ مثل كرة في الفضاء . أمي تضحي
عندئذٍ قلقة فنقول، أنّ وجه السماء صارَ عتماً؛ أشياء

شريرة لا بدّ وحصلت في الأرض .
إنها تنشد أغنية شاكية، الكلمات والنغم تبعثرت مثل
أمواج الحزن في صمت الليلة، ثمّ حملتني معي .

* . قطع من قصيدة طويلة، بعنوان ' زمن السراب على قرن ثور ' / من كتاب الشاعر
هندرين " إسكندنافيا : جزيرة اخرى من البخور " - ستوكهولم 2003 ، وهو منتخبات
شعرية باللغة السويدية

Dilor7@hotmail.com

<http://www.elaph.com/ElaphWeb/Culture/2008/7/348998.htm>